

الصراع النبطي الروماني وتأثيراته السياسية والحضارية

د/ سميره بنت سعيد بن محمد القحطاني

أستاذ تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم المشارك

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

تمهيد:-

مما لاشك فيه أن كثيراً من الكتابات قد تطرقت لعرب الأنباط⁽¹⁾ وحضارتهم ، وآثارهم ، وأشارت تلك الكتابات، والدراسات إلى أوجه تلك الحضارة العربية العريقة، في شمال شبه الجزيرة العربية ، وبالرغم من الدراسات والبحوث الكثيرة، المتعلقة بالحضارة النبطية وبتاريخ الأنباط والتي تدور حول نتائج التنقيبات الأثرية، في المواقع النبطية المختلفة وخاصة العاصمة البتراء ، إلا أن هذه الدراسات، لم تكن بشكل كبير بالعلاقات الخارجية لعرب الأنباط، والتي نستطيع من خلالها معرفة بعض ملامح السياسة الخارجية للأنباط.

و من الواضح أن علاقات عرب الأنباط بغيرهم من الشعوب لم تكن كلها سلمية، بل كانت في أغلبها ذات طابع عدائي، فقد خاض عرب الأنباط عدة حروب لتوسيع نفوذهم و سلطاهم في الشرق ، منها الاشتباك الذي وقع بينهم و بين الهيروديين في فلسطين في عهد الملك النبطي عبادة الأول سنة 90 ق.م، واذي انتهى بانتصار الأنباط ، وتمكنوا من الاستيلاء على جنوب شرقي سوريا بما فيها حوران و جبل الدروز و قد تغلب الحارث الثالث في حملة قام بها على فلسطين فتمكن من محاصرة القدس و احتلال دمشق .

وإذا ما قمنا بتحليل علاقة الأنباط بالقوى السياسية التي كانت تعاصرها ، نجدها قد دخلت في صراعات سياسية وعسكرية معها، منها اتجاه الأنباط إلى الدخول في صراعات عسكرية ، وتجارية مع البطالمة ، وتدهورت العلاقات بين الأنباط والبطالمة عندما قام الملك البطلمي بطلميوس الثاني (فيلادلفوس 284-246 ق.م)⁽²⁾، بتحويل طريق التجارة من الطريق البري الذي يمر بأرض الأنباط، إلى الطريق البحري عبر البحر الأحمر ، واحتكار التجارة فيه⁽³⁾. وساءت العلاقات بين الطرفين بعد وقوف الأنباط إلى جانب السلوقيين في صراعهم مع البطالمة ، لكن لم تسير الأمور على ما يرام، بل دب الخلاف بينهما، مما جعل الأنباط تتجه بنظرها إلى قوة روما، ولم تلبث أن تعاونت معها للقضاء على البطالمة والسلوقيين معاً⁽⁴⁾.

و قد ظلت العلاقات طيبة بين الأنباط و الرومان، و استمرت البتراء المحطة الرئيسة على طريق القوافل التجارية حتى تضاءلت أهميتها على أثر تحول طريق التجارة المار بغربي الجزيرة إلى العراق مما أدى إلى أن تفقد البتراء أهميتها كمركز يعتمد على التجارة الغربية، لكن الأمور لم تسير كما أرادها الأنباط، بل أخذ الرومان يحاولون احتلال بلادهم ، الى أن نجحوا في عام 106م، في عهد الامبراطور تراجان دخول البتراء ، واحتلالها ، و بسقوط البتراء انتهت دولة الأنباط.

وسيتيم تناول هذه الدراسة من خلال عدة محاور ، وذلك كالآتي:-

- عرب الأنباط وازدهار دولتهم
- النشاط التجاري لعرب الأنباط وتأثيره على سياستهم وعلاقاتهم الخارجية
- الصراع النبطي الروماني ومراحله
- التأثيرات السياسية والحضارية

أولاً: عرب الأنباط وازدهار دولتهم:-

ازدهرت مملكة الأنباط نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت تعتمد بشكل رئيس على التجارة، وتحتل مركزاً مرموقاً على طريق القوافل التجارية، القادمة من الجزيرة العربية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، الأنباط شعب عربي خرج من جنوب شبه جزيرة العرب على الأرجح وكانوا أعراباً يرعون الماشية، ومنهم أصحاب قوافل تجارية، وفي القرن السادس ق.م سيطروا على أرض الآدوميين جنوبي البحر الميت، واختلف المؤرخون في الموطن الأصلي للأنباط⁽⁵⁾.

وعرف عن الأنباط أنهم من سكان الصحراء، الذين عملوا بالرعي، والتجارة البرية؛ التي كانوا يعملون على حمل البضائع من جنوب الجزيرة العربية، وتوزيعها إلى مناطق عدة، منها: منطقة الشرق الأدنى، والبحر الأبيض المتوسط⁽⁶⁾.

وأول ذكر لهذا الشعب يعود إلى عام (647 ق.م)، حيث ذكره الملك الآشوري (آشور بنيبال) في عداد خصومه، وذلك قبل أن يستوطن مدينة البتراء، عاصمة مملكته فيما بعد، وفي ذلك الزمن كان الملك (نبونيد) آخر ملوك بابل قد أخضع واحة تيماء التي كانت على طريق القوافل الواصلة بين مدينة الحجر والفرات، وكانت عاصمة نبطية قبل البتراء، ويقول الدكتور جواد علي في أصل الأنباط: وعندي أن النبط عرب بل هم أقرب الناس إلى قريش من العرب الجنوبيين فهم يشاركون قريشا في أكثر الأصنام (ذو الشراة - اللات - العزى) وخط النبط قريب جدا من خط كتبة الوحي⁽⁷⁾. اتخذ الأنباط من مدينة البتراء عاصمة لهم، والتي ورد ذكرها في الكتابات اليونانية القديمة⁽⁸⁾. وقد عاصر الأنباط البطالمة في مصر، والسلوقيين في سوريا، في فترة ما قبل الميلاد، والدولة الرومانية بعد الميلاد⁽⁹⁾.

مارس عرب الأنباط النشاط التجاري، وقاموا بدور الوسطاء، وعُرفوا بالثراء، وهذا يدل على أنهم عرفوا نوعاً من حياة الاستقرار، وأصبحوا أثرياء، وقد يكون هذا الثراء أحد الأسباب التي دعت اليونانيين إلى القيام بمحاولتين لاحتلال بلاد الأنباط، الأولى أرسلها القائد اليوناني أنتيجونوس (Antigonos)، لم يحقق فيهما أي انتصار عسكري، والمحاولة الثانية كانت بقيادة ابنه ديمتريوس⁽¹⁰⁾.

سكن الأنباط إيدوم جنوبي الأردن خلال القرن الرابع ق.م، بعد هجرة الإيدوميين لها، الذين قاموا بتأسيس مقاطعة جديدة خاصة بهم في منطقة النقب في فلسطين، وتشير الأدلة الأثرية والتاريخية إلى ممارسة الأنباط التجارة في تلك المنطقة¹¹.

أشارت المصادر الكلاسيكية القديمة إلى عرب الأنباط، والتي من أشهرها كتابات المؤرخ اليوناني ديودور الصقلي، وأشار في كتاباته إلى أول حملة يونانية على الأنباط⁽¹²⁾. ووصف الأنباط في كتابه بأنه بدو يسكنون الخيام، ويعتمدون في اقتصادهم على تربية الماشية، والتجارة، وأشار إلى أن الأنباط هم أقوى وأعنى القبائل البدوية التي سكنت جنوبي بلاد الشام⁽¹³⁾. ومما ورد في كتابه: "إنهم (الأنباط) يسكنون في العراء، ويفتخرون بالصحراء كموطن لهم حيث لا يوجد فيها أثمار ولا تكثر فيها الينابيع؛ إذ يصبح من المستحيل على الجيوش الغازية لهم الحصول على المياه. إن من طبعهم أنهم لا يفلحون الحبوب، ولا يزرعون الأشجار المثمرة، ولا يشربون الخمر، ولا يبنون البيوت... بعضهم يربي الإبل وبعضهم الآخر يربي الضأن، ويرعونها في الصحراء. وبينما هناك الكثير من القبائل العربية التي تستخدم الصحراء كمرعى إلا أن الأنباط يفوقون الآخرين بالثروة... حيث إن معظمهم قد امتنعت تجارة البخور وأعلى أنواع البهارات"⁽¹⁴⁾.

ورد ذكر للأنباط في كتابات المؤرخ اليوناني زينون (Zenon)، منذ القرن الثالث قبل الميلاد (حوالي عام 259 قبل الميلاد). حيث كانت التجارة مزدهرة ورائجة على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعبر وادي الأردن، وشمالاً إلى مناطق حوران، ووردت إشارات للأنباط وتواجدهم في تلك المناطق⁽¹⁵⁾. وورد ذكر للأنباط في كتابات الجغرافي اليوناني سترابو (Strabo)، الذي عاش في القرن الأول الميلادي، وأشار للأنباط في كتابين للمؤرخ يوسيفوس (Josephus)⁽¹⁶⁾.

وقد اختلف وصف الأنباط عند ديودور الصقلي عن تلك التي رسمها سترابو، فالأول قد أشار إلى أن نوع الحياة التي عاشها الأنباط، حياة بداءة عاشوها في الصحراء، بينما أشار سترابو إلى أنها حياة حضرية مترفة، بالرغم من أن ديودور معاصر لاسترابو، إلا أن رواية الأول تسبق رواية الثاني بحوالي قرنين تقريباً⁽¹⁷⁾.

عاشت هذه المملكة العربية في فتر غزا فيها المقدونيون المشرق بحضارتهم، وثقافتهم، وجنودهم، ومع ذلك استطاعت أن تحافظ على شخصيتها العربية، ووصلت إلى درجة عالية من الثراء، وذلك بفضل سيطرتها على ثروة بلاد العرب، كتجارة البخور، والتوابل، وحافظت على سر تلك التجارة، في الوقت الذي كان فيه البطالمة، والسلوقيين يتنافسان على منطقة جنوب سوريا، وقامت لأجل ذلك بينهما عدة حروب، عرفت بالحروب السورية⁽¹⁸⁾.

يُعد التنظيم السياسي الذي وصلت إليه دولة الأنباط أحد معالم الرقي الحضارة النبطية، وعلى الرغم من قلة المعلومات التي تتحدث حول هذا الموضوع ألا أن الاشارات المتأخرة تشير بشكل واضح الى مستوى متقدم من التنظيم السياسي، فأول إشارة الى ملوك الأنباط تعود الى 169 ق.م. والتي تتحدث عن الحارث الأول الذي ذكر في التوراة، ولقد برع الأنباط في تقديم نموذج في الادارة السياسية حينما تحولوا من النظام القبلي الى نظام الدولة، مع المحافظة على الشخصية العربية المتبعة في النظام الاجتماعي التقليدي، فقد كان الملك النبطي نموذجاً راقياً لشيخ القبيلة، فهو كبير القوم وسيدهم، وفي هذا السياق يذكر سترابو بأن نظام الحكم عند الأنباط كان نظاماً ملكياً، ولكن يلاحظ أن ملوك الأنباط الذين وصفهم بأنهم كانوا يعيشون عيشة رضية، ومزدهرة، ظلوا محتفظين بالقيم العربية، وبخائص شيخ القبيلة، فهو يقوم بخدمة نفسه بنفسه، وخدمة ضيوفه، ويستقبل أبناء شعبه، ويمنحهم حبه حتى أن أسموه (رحم عمو) أي الحب

لشعبه، ويقوم بتقديم كشف عن شؤونه لشعبه، وهذا يعني أنه كان يتمتع بالروح الديمقراطية، وكان يُطلق عليه (مَرْنَا)، وذلك قياماً بواجب التعظيم⁽¹⁹⁾.

و كان للملك مجلس للشورى يستشيرونه في إدارة أمور الدولة، وتصريف أعمالها، كما كان للملك وزراء يساعدونه، ويطلب من الملك تقديم تقريراً شاملاً عن أعمال الدولة يقدم الى مجلس الشورى⁽²⁰⁾، كما وصل هذا الرقي في تنظيم الادارة السياسية الى منح المرأة الحق في الحكم فهذه شقيقة زوجة الحارث الرابع تحكم كملكة بعد موت زوجها في بداية القرن الأول ميلادي⁽²¹⁾.

لاتوجد قائمة كاملة بملوك الأنباط وبخاصة أولئك الذين حكموا في الفترات الأولى من تاريخ المملكة النبطية، وأول ملك للأنباط في المصادر المكتوبة هو الحارث الأول والذي كان معاصر للملك السلوقي أنطيوخوس الرابع والملك البطلمي بطليموس السادس "فيلوماتور"، وتحالف مع اليهود المكابيين الذين ثاروا على السلوقيين وذلك لأسباب تجارية. و وصلت مملكة الأنباط في عهد الملك الحارث الثاني، إلى درجة كبيرة من القوة والازدهار، وتعود إلى عهده أول نقود نبطية معروفة حتى الآن. وفي عهد الملك عباده الأول (88-95 ق.م)، استمرار النزاع مع المكابيين نتج عنه تنازله عن جلعاد ومواب للأنباط. ثم يحكم رب أيل الأول (88-87 ق.م): ولا تتوفر عن فترة حكمه القصيرة معلومات واضحة.

و يعد الحارث الثالث (87-62 ق.م) من أشهر وأقوى ملوك الأنباط، ولقد أوصل مملكة الأنباط إلى أوج مجدها وأنساعها مستغلا الظروف المحلية والدولية، فوسع مملكته على حساب السلوقيين والمكابيين عند بداية ظهور روما على أبواب الشرق، والذين استولوا على بلاد الشام وقضوا على آمال الحارث في تكوين دولة قوية لكن خليفته عباده الثاني (62-47 ق.م) اتبع سياسة سار عليها خلفاؤه من بعده قوامها التحالف والموالة للرومان بهدف الحفاظ على استقلال دولتهم، وحمايتها من الأخطار، وذلك لأن الرومان أصبحوا القوة المسيطرة على الشرق بكامله، والمتحكمة في بالطرق والمنافذ التجارية، لكن هناك العديد من المتغيرات والتحولات الدولية التي حدثت في عهد مالك الأول.

وهناك اختلاف بين الباحثين حول تحديد وترتيب قوائم ملوك الأنباط، وسنورد نبذة موجزة عن أشهرهم. الحارث الأول: ويعد نقش الخلصة، من أقدم النقوش النبطية، والتي يعود تاريخها إلى فترة حكم الملك النبطي الحارث الأول، ويدل وجود هذا النقش في منطقة بعيدة عن العاصمة النبطية، على اتساع الرقعة الجغرافية للأنباط في تلك الفترة⁽²²⁾.

ويعد الحارث الثاني ممن تربعوا على عرش مملكة الأنباط، وأول إشارة لهذا الملك وردت عندما طلب أهالي مدينة غزة المساعدة منه، للوقوف معهم في وجه ملك اليهود ألكسندر جانيوس (Alexander Janneus). عندما حاول السيطرة عليهم، ويبدو أن فترة حكم هذا الملك كانت حوالي 100 قبل الميلاد، ويعتقد أن الملك الحارث الثاني، أول ملك نبطي أمر بصك النقود. وقد اختلف المؤرخون في فترة حكمه⁽²³⁾.

خلفه عبادة الأول الذي يعتقد بأنه أبن الملك الحارث الثاني، وقد حكم بعد موت والده في عام 95/96 قبل الميلاد، واستمر حكمه لعام 84/85 قبل الميلاد. في عهده حاول الملك اليهودي الاستيلاء على عدد من مناطق

جلعاد وعمون ومؤاب، ولكن الجيش النبطي استطاع بقيادة الملك عبادة الأول من الانتصار على اليهود، وبعد هذا الانتصار سيطر الأنباط على مناطق جلعاد وعمون ومؤاب، وامتدت سيطرتهم على مناطق حوران و الجولان (24)

يعود تاريخ حكم الحارث الثالث إلى الفترة الممتدة ما بين عام 85-84 ق.م، واتسعت حدود الأنباط زمن هذا الملك، واستطاع أن يحكم مدينة دمشق، وقد ضرب هذا الملك تقوده الخاصة به في مدينة دمشق، وقد حققت دولة الأنباط انتصاراً كبيراً على اليهود، وانتصر على ملكهم ألكسندر جانيوس، واستغل الملك النبطي الصراع الذي نشأ بين أبناء الملك اليهودي لصالحه، وحقق انتصاراً كبيراً، عندما طلب أحدهم وهو ارسطوبولس (Aristobulus) المساعدة من الحارث الثالث ضد أخيه هيركانوس (Hyrcanus). وقد حاول الرومان الاستيلاء على المملكة النبطية وضمها، ولكن باءت محاولاتهم هذه بالفشل واستطاعت المملكة النبطية أن تحافظ على استقلالها، في عهد الحارث الثالث (25).

أصبحت العلاقات النبطية مع اليهود علاقات ود و صداقة، في بداية حكم الملك مالك الأول، وقد أصبحت دولته طرفاً في الأحداث التي حدثت بعد أن أصبح القائد الروماني (انطونيوس)، مسؤولاً عن إدارة الولايات الشرقية، والتي تطورت حتى انتهت بمعركة أكتيوم عام 31 ق.م (26)، والتي فقد بعدها الأنباط بعض ممتلكاتهم، والتي لم يستعيدوها إلا في فترة حكم الملك النبطي الحارث الرابع (27).

وفي عهد الملك عبادة الثاني كانت العلاقات الخارجية جيدة مع الإمبراطور الروماني أغسطس أما مع اليهود فكانت العلاقات عدائية بين الطرفين، حيث جهز هيرود الكبير ملك اليهود حملة ضد الأنباط عام 12 قبل الميلاد، وتصدى لهم الأنباط بقيادة نيكابوس (Nakebos)، والتقى الجيشين في موقع يعرف بـ رفنا (Rhepta)، وقتل قائد الأنباط نيكابوس (28).

ويُعد حكم الملك الحارث الرابع، من أطول وأزهى الفترات في تاريخ الأنباط، واستطاع هذا الملك، الحفاظ على استقلال بلاده الواسعة، دون أن يحتك بالرومان وقد اتسعت العلاقات التجارية في عهده، ووصل الأنباط إلى ميناء أوستيا (Ostia)، المرفأ الروماني المشهور في إيطاليا الواقع قرب روما، وفي عهده ساءت العلاقات بين الأنباط والملك اليهودي انتيباس ابن هيرود الكبير، واهتم هذا الملك بمناطق مدائن صالح، جنوب المملكة النبطية،، وتؤكد ذلك مجموعة من النقوش المؤرخة التي تعود إلى فترة حكم هذا الملك، كما تعتبر معظم المباني المبنية والمنحوتة في البتراء، قد تم تدشينها في زمن الملك الحارث الرابع وزمن أسلافه. ويعتقد أن هذا الملك قد دفن في المدفن المسمى "الخزنة"، وهذا من أهم الأدلة التي تؤكد أن جميع المباني ومنحوتات مدينة البتراء، وغيرها من المواقع النبطية، كانت قائمة قبل وصول الرومان الى البتراء في عام 106 ميلادي .

خلف مالك الثاني أبيه الحارث الرابع، وقد تميز عهده بفترة هدوء سياسي، واقتصادي، بعكس فترات الازدهار التي اتسمت بها فترة حكم والده.

ومن الملوك الأنباط رب آيل الثاني ، والذي حكم تحت وصاية أمه بسبب صغر سنه ، إلى أن توفيت عام 76 م، وبعدها تولى ابنها الملك رابيل الثاني الحكم. ودخلت مملكة الأنباط بعد وفاته في دائرة السيطرة الرومانية وتحولت إلى مقاطعة عربية ، مركزها بصرى.

ثانياً: النشاط التجاري لعرب الأنباط ودوره في الصراعات الاقتصادية والسياسية :-

مما لاشك فيه أن التقدم الاقتصادي الذي شهدته دولة الأنباط أحد الدعائم الأساسية التي أدت إلى استمرارية ، وقوة الأنباط ، ولقد توافرت عدة عوامل ساهمت في هذا النهوض ، أهمها الموقع الجغرافي الذي تمتعت به أرضهم بوقوعهم على طرق القوافل التجارية، والقرب من مصادر الثروات الطبيعية على رأسها البحر الميت، ومناجم النحاس في وادي عربه ، إضافة إلى ما تمتع به عرب الأنباط ذكاء تجاري، وقدرة كبيرة على إدارة المعاملات التجارية ، وممارسة البيع والشراء، والمنافسة التجارية بكل قوة، مما جعلهم مطمئناً للقوى الأجنبية المعاصرة ، كما أن النشاط التجاري الذي امتاز به الأنباط كان سبباً في إثارة الصراع الاقتصادي ، حول طرق التجارة، مما كان سبباً في حدوث الحروب الطويلة بين الأنباط و عدداً من القوى السياسية (29).

ومن الملاحظ أن بداية الأنباط كانت حماية القوافل التجارية ، ثم أصبحوا وكلاء محليين للتجارة ، ثم وسطاء تجاريين ، شيئاً فشيئاً حتى أصبحوا تجاراً ، مسيطرين على التجارة و طرقها ، حيث كانت قوافلهم المكونة من مئات الجمال تحمل البخور والتوابل والعطور من شواطئ عُمان واليمن ومروراً بمكة والمدينة والحجر ووادي رم إلى البتراء عاصمة القوافل ، ثم تتفرع الطريق بها إلى دمشق شمالاً أو عبر النقب وسيناء غرباً لممارسة النشاط التجاري مع البطالمة في مصر (30).

وبنى الأنباط العديد من محطات ومدن للقوافل التجارية ، حتى يتم توفير ما تحتاجه القوافل التجارية والتجار، من الأمن، والراحة، والمؤن ، والأسواق، وذلك على طول الطرق التجارية ، ومن أهمها مدائن صالح، والبتراء، وأم الرصاص ، وأم الجمال، وبصرى، وعبد في النقب وخلصه وغيرها . إضافة إلى محاولة السيطرة على بعض الموانئ الهامة مثل ميناء غزة وميناء العقبة . كما كان الأنباط يفرضون الضرائب على جميع القوافل التجارية التي تمر بالأراضي التابعة لهم ، وحققوا من وراء ذلك أموالاً كثيرة (31).

ويذكر بليبي: أن الحراس والخدم، وحراس الدولة، والمقيمين، كانوا يتقاضون أجوراً تصل للجمال الواحد إلى (688) ديناراً، وذلك قبل وصول القوافل التجارية إلى سواحل البحر المتوسط (32).

ونتيجة لتفوق الأنباط وازدهار تجارتهم ، دخلوا في صراعات تجارية وسياسية مع اليونانيين، والبطالمة، والسلوقيين واليهود، والرومان، مما جعل البطالمة يبحثون عن حلفاء تجاريين، ونجحوا في إقامة علاقات صداقة ، وتعاون تجاري مع بعض المدن التجارية الواقعة على الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية (33). كما قاموا بإقامة ميناء لهم على

ساحل البحر الأحمر يخدم التجارة البحرية، هو ميناء أمبلوني، وذلك بالتعاون مع حلفائهم اللحيانيين، والمعنيين، وفي المقابل بدأ الأنباط يسبون المتاعب للبطالمة، وذلك بالإغارة على سفنهم التجارية التي تجوب البحر الأحمر، إضافة إلى محاولاتهم للتضييق على لحيان المتحالفة مع البطالمة، والتي كانت تكره الأنباط، وبمهمها عدا، وذلك بالزحف جنوباً نحو مدينة دادان، التي أصبحت مدينة تجارية هامة، وعملوا على تحويل ميناء أمبلوني إلى ميناء نبطي، وغيروا اسمه إلى (لويكي كومي)⁽³⁴⁾.

ولم تكن مملكة الأنباط معزولة عن العالم، فسهل لها موقعها على طرق التجارة الدولية في ذلك الوقت، الاتصال بالعالم الخارجي، عن طريق الطرق البرية مثل: طريق البخور، وطريق جرها، وطريق البتراء⁽³⁵⁾، إضافة إلى العديد من المراكز التجارية مثل: البتراء، صبرا، العلا ديدان، الحجر، مدائن صالح، تيماء، دومة الجندل الجوف، أم الجِمال، وبُصرى⁽³⁶⁾.

ومارس الأنباط التجارة البحرية منذ القرن الرابع قبل الميلاد، بدليل ما ذكره المؤرخ هيروديموس عن نشاط الأنباط البحري، وقيامهم بنقل بعض البضائع الثمينة، مثل: البخور، المر، التوابل، من جنوب شبه الجزيرة العربية، إلى البحر الأحمر، ويصف المؤرخ نفسه الحملة التي قادها هو، للسيطرة على تجارة القطران، وانتزاعها من الأنباط التي كانوا يمارسون تجارتها، ويسيطرون عليها في البحر الميت، واستطاعوا أن يخوضوا حرب بحرية ضد الحملة وقائدها، الذين فشلوا في الصمود، واحتفظ الأنباط بتجارة القطران⁽³⁷⁾.

وكان هناك اهتمام بالتجارة البحرية، ما أدى إلى تصادم في المصالح التجارية بين الأنباط والبطالمة، بعد قيام البطالمة بتحويل طريق التجارة البرية التي كانت تمر بأراضي الأنباط إلى طريق البحر الأحمر⁽³⁸⁾، وربما فعل البطالمة ذلك ليكملوا سيطرتهم على الاقتصاد البطلمي، باحتكار السلع التجارية الهامة⁽³⁹⁾، فخسر الأنباط الذين كانوا يحصلون على أرباح باهظة من تجارة القوافل التي كانت تمر ببلادهم، حيث كان لتوسع البطالمة السياسي والاقتصادي دور كبير في تعارض المصالح مع الأنباط، الذين كان لهم نشاط بحري واسع في البحر الأحمر، ما جعل البطالمة يعتمدون على إرسال حملات عسكرية للحد من السيطرة البحرية للبطالمة، بل القضاء عليها، وبالتالي السيطرة على تجارة البحر الأحمر، ومن هنا بدأت الضربات توجه إلى تجارة البطالمة البحرية، مما أدى إلى تدهور العلاقات السياسية، واقتصادية بينهما⁽⁴⁰⁾.

ومن أهم الموانئ التي كانت تحت نفوذ الأنباط: ميناء غزة على البحر المتوسط⁽⁴¹⁾، وميناء لويكة كومة على البحر الأحمر⁽⁴²⁾، وميناء أيلة على خليج العقبة⁽⁴³⁾، ويعد ميناء وأكرا كومي من الموانئ النبطية التي ازدهرت خلال العصرين البطلميين والروماني⁽⁴⁴⁾. ومن هنا نجد أن الأنباط قد سيطروا على عدد من الموانئ في البحر الأحمر، شملت الفترة ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، ولعل مينائي لوكي كومة وأكرا كومي من الموانئ التي نالت أهمية كبيرة خلال العصرين البطلميين والرومانيين، وبقيتا بعيدين عن تدخلات القوى الكبرى، وسيطرتهم، وحظي ميناء لوكي كومة بأهمية خاصة لقربه من العاصمة النبطية⁴⁵.

ولا شك أن سيطرة الأنباط على التجارة وطرقها، كان سبباً في إثارة النزاعات والصراعات بين القوى السياسية في تلك الفترة، وليس أدل على ذلك مما كتبه المؤرخ اليوناني ثيودور الصقلي (Diodorus of Sicily)،

والذي حدثنا عن تجهيز اليونان لحملتين ، لإخضاع الأنباط العرب، وهذا يعني أن الأنباط كانوا في تلك الفترة، قوة لها وزنها الدولي ولها كيائها وسيطرتها على طرق التجارة الدولية، آنذاك، هذه السيطرة جعلت دولة عظمى كاليونان في ذلك الوقت تُجهز حملة عسكرية لإخضاع الأنباط⁽⁴⁶⁾، لتسهيل وصولهم وسيطرتهم على القوافل التجارية، القادمة من البحر الأحمر والخليج العربي، و الطرق البرية، القادمة من الجزيرة العربية ،ومن سيناء عن طريق صحراء النقب، والتي كانت البتراء تُعتبر مركزها الرئيس، ومحطة بارزة للقوافل التجارية⁽⁴⁷⁾.

و نال الأنباط شهرة واسعة ، من وراء التجارة التي برعوا فيها ، فازدادت قوتهم ، التي وظفوها في خدمة التجارة، وبدأوا يتاجرون في: العطور، والبخور، والأدوية ، والمطهرات وعلى رأسها المر ، وهي من أنجع المواد الطبيعية لتطهير الجروح ومعالجة الالتهابات والقروح الخارجية. ووسّع الأنباط مساحة سيطرتهم فسيطروا على تجارة التوابل وبضائع أخرى كانت تُشحن من موانئ الشرق إلى الخليج العربي ، فتحملها القوافل بعد ذلك إلى الصفراء (العين في اماره أبو ظبي) ، ثم مكة ، ثم مدائن صالح (الحجر) وغيرها، ومنها إلى أسواق سواحل البحر الأبيض المتوسط وجزره. وأتقن الأنباط التعامل به فصار مصدراً وبيعاً للدخل، وقدم للأنباط ثروة هائلة، ولا شك في أنها ساهمت بقدر كبير في صعود قوتهم السياسية خلال القرنين الثاني والأول ق.م⁽⁴⁸⁾.

يقول هيرودتس "إن جنوب الجزيرة العربية كانت البلد الرئيسي التي أنتجت البخور والصمغ"⁽⁴⁹⁾، وأشارت مصادر أخرى إلى أن حضرموت ، وقتبان، وظفار، كانت هي مصدر لإنتاج المواد الثمينة⁽⁵⁰⁾، وتنطلق القوافل التجارية منها، مرة بمأرب إحدى المحطات التجارية التي تمر بها القوافل ، حيث تتابع القوافل سيرها مروراً بعد من المحطات ، منها مدينة نجرن، ثم يتفرع الطريق إلى اتجاهات ثلاث هي: الفاو شرقاً، وتواصل حتى تصل إلى الخليج العربي. أما الاتجاه الثاني فكان إلى الشمال نحو مدينة يثرب، وبصل الاتجاه الثالث إلى الشمال الغربي، ناحية مكة، والعلا (ديدان قديمة) ، وقد كانت خلال القرن الأول قبل الميلاد التي كانت تابعة للأنباط. ويستمر الطريق من العلا إلى الحجر⁽⁵¹⁾.

ويظهر اهتمام الأنباط بالتجارة في إنشاء سوق خاص بالتجارة ، يلتقي فيه التجار الأنباط بالتجار العرب، وغير العرب، يتبادلون مختلف السلع ، ويمارسون عملية البيع والشراء، لمختلف البضائع ، وكان يعقد فيه اجتماع سنوي ، يحضره العديد من التجار من كل مكان⁽⁵²⁾،. ومن الملاحظ تنوع السلع التي كان يتاجر بها الأنباط.

ولعل من أهم صور التنافس والصراع التجاري ما كان بين البطالمة، والأنباط، والسلوقيين ، والتي أثرت على الأنباط تجارياً ، وسياسياً، والذي نتج عنه تحالف نبطي سلوقي، ضد البطالمة، في عهد الملك البطلمي "بطليموس الرابع"⁽⁵³⁾، والذي خاض ضدهم معركة رفع عام 217 ق.م⁽⁵⁴⁾، وانتصر عليهم ، وكان ذلك في فترة حكم الملك السلوقي "أنطيوخوس الثالث"⁽⁵⁵⁾.

ومن الافت للانتباه أن البطالمة لم يهتئوا بتحالفهم مع السلوقيين، الذين أخذت الأخطار تهددهم من الشرق ، بظهور البارثيين⁽⁵⁶⁾ ، وسيطرتهم على طرق التجارة البحرية في الخليج العربي⁽⁵⁷⁾، مما جعل السلوقيين يقتصرون في تجارتهم على استخدام الطرق الغربية، والتي كانت سبباً في وقوع العداء بين الأنباط وحلفائهم السلوقيين، مما جعل الأنباط يبحثون عن حليف آخر ، للوقوف في وجه أعدائهم ، البطالمة، والسلوقيين ، فكان أن لجأوا إلى الرومان، الذين وقفوا إلى جانبهم ،

ضد الدولة البطلمية، بعد أن دخلت مرحلة الضعف في عهد "بطلميوس الخامس" (58)، وقد قم الأنباط بدور كبير في تلك الفترة، حيث وقفوا إلى جانب الرومان في الحروب التي خاضوها ضد البطالمة⁵⁹، بعد سقوط الدولة السلوقية على يد الرومان، وتحولها إلى ولاية رومانية عام 64 ق.م (60).

ومما لا شك فيه أن سياسة المصالح قد لعبت دوراً كبيراً في إثارة التنافس التجاري والصراع لسياسي، وأدارت السياسة الخارجية للأنباط، وأعدائها، وجعلت من عدو الأمس صديق اليوم، والعكس صحيح. وأصبحت المصالح التجارية ميزاناً للعلاقات الدولية في تلك الفترة.

ثالثاً: الصراع النبطي الروماني ومراحله:-

- مرحلة تذبذب العلاقات

بعد استيلاء روما على سورية وتحولها إلى ولاية رومانية في عام 64 ق.م، نجحت في تحويل مصر إلى ولاية رومانية في 30 ق.م، وبعدها وجدت أنها بحاجة إلى حماية الحدود الشرقية لإمبراطوريتها، من هجمات شعوب المناطق الواقعة على الأطراف الغربية لشبه الجزيرة العربية، إضافة إلى خطر الدولة "البارثية" في إيران، العدو الشرس للرومان، استمرت محاولات الرومان في السيطرة على الطرق التجارية البرية شمال شبه الجزيرة العربية، وتأمينها، أو السيطرة على المناطق التي تمر بها الطريق التجارية البحرية من البحر الأحمر إلى المحيط الهندي (61).

وفي إطار هذه الظروف جميعاً كانت تدور علاقات الرومان بالتجمعات أو التكوينات السياسية في شبه الجزيرة العربية، وهي علاقات تعرضت من خلالها روما إلى ثلاث مناطق في شبه الجزيرة هي، حسب الترتيب الزمني: اليمن أو المنطقة الجنوبية الغربية، ومملكة الأنباط في القسم الشمالي الغربي، ثم مملكة تدمر في أقصى الشمال. وكان أول نشاط الرومان في هذا المجال هو الحملة التي أرسلها أغسطس augustus، أول الأباطرة الرومان، إلى

برغم من التحولات الخطيرة التي شهدتها علاقة الأنباط بالقوى السياسية المختلفة إلا أنهم لم يتركوا لهذه التحولات المختلفة بأن تهدد مصالحهم التجارية، ونفوذهم السياسي، وغالباً ما كانوا يدخلون في صراعات حربية مع تلك القوى، من أجل البقاء، ولعبت سياسة التحالفات دوراً كبيراً في بقاء الأنباط واستمرارهم.

ولعل الرومان من أهم القوى السياسية التي تحالف معها عرب الأنباط، لحماية مصالحها السياسية، والتجارية، خلال فترة صراعها مع أعدائها، ومنهم اليهود المكابيين، الذين حاولوا اقناع الرومان بالتحرك ضد الأنباط، والتصدي لهم، وذلك عندما تمكن الأنباط من دخول دمشق، والسيطرة عليها، بعد انتصارهم على الدولة السلوقية، ولكن روما لم تستمع لليهود، ولم تلتفت لمشورتهم، واكتفت روما بأخذ المال من الأنباط مقابل عدم التدخل في شؤونهم الداخلية، وسياستهم الخارجية.

وقد لعبت الظروف الدولية خلال تلك المرحلة في بناء علاقات جيدة بين الجانبين تضمنت التحالف والولاء ، وذلك في عهد كل من القائدين الرومانيين "يوليوس قيصر" (62) و "أوكتافيوس" (63)، وقد لعب الأنباط في عهد هذين القائدين دوراً كبيراً في ممارسة دور الحليف القوي الذي يدعم حليفه ، ويقف إلى جانبه، ومارس الأنباط هذا الدور في أصعب مراحل الصراع السياسي على العرش الروماني في المرحلة التي سبقت تبني نظام الحكم الإمبراطوري في إدارة الدولة الرومانية .

وإذا ما أشرنا إلى دور الأنباط في فترة استلام القائد الروماني : انطونيوس "، الذي ذهب إلى مصر ، وقابل الملكة " كليوباترا "، وأعجب بها، وأخذ يسعى لرضاها، ولكي يرضي طمعها، طلب ريع الأموال من المناطق الشرقية للبحر الميت، وكانت هذه المناطق تابعة للملك الأول ملك الأنباط، استجاب مالك الأول لطلب انطونيوس، وقدم للملكة كليوباترا الأموال المطلوبة ، وبعد مضي مدة من الزمن امتنع الأنباط من دفع هذه الأموال للملكة كليوباترا ، ونتيجة لذلك أمر أنطونيوس الملك هيرود بمهاجمة الأنباط، لكن الأحداث لم تقف عند ذلك، حيث شاعت الأقدار أن يكون الأنباط أحد من نالته شر الحرب التي حدثت اثر معركة أكتيوم البحرية، والتي وقعت بين القائدين الرومانيين انطونيوس وحليفته كليوباترا من جهة، وبين أوكتافيانوس، حيث حاول الأنباط أن يقفوا إلى جانب الطرف الأقوى، خاصة بعد انتصار القائد أوكتافيانوس، لكنه لم يكتف بمساعدتهم له، بل قام بإعطاء اليهود بعض المناطق التابعة لمملكة الأنباط. والتي لم يستعيدوها إلا في فترة حكم الملك النبطي الحارث الرابع.

ولعل العلاقات النبطية الرومانية قد دخلت مرحلة جديدة مع بداية الاحتلال الروماني لسوريا عام 64ق.م، وكان ذلك في عهد الملك النبطي " الحارث الثالث"، والذي بلغت الدولة النبطية في عهده أقصى اتساع لها، حيث احتل دمشق عام 80ق.م، كما تمكن ضم البقاع ، وضم بعض الأملاك السورية إلى أملاكه، وفي عهده أغار على أطراف الدولة السلوقية، التي انتهت بدخول القائد الروماني بومبي (64) سورية، واستيلائه على جميع المدن السورية، وقضى بذلك على الحكم السلوقي نهائياً (65).

اصطدم القائد الروماني بالأنباط، خلال وجودهم في سوريا، وقد تفاوتت الروايات التاريخية حول ما حدث، حيث ذهب البعض إلى أن بومبي زحف نحو بلاد الأنباط ، وجيرائها، وغلبهم دون عناء، وقام بوضع حامية عسكرية هناك، وذهب آخر إلى أن بومبي قد شن هجوماً ، أو حرباً على العرب والأنباط (66).

وعلى أية حال شعر الأنباط بقوة بومبي القائد الروماني بعد تغلبه على دمشق ، ، وبخطر القوات الرومانية ، فقاموا بالخضوع لهم ، في عهد ملكها "الحارث الثالث"، وتعهدوا بدفع جزية سنوية للرومان ، وبتقديم الجنود للدولة الرومانية لمساعدتها في حروبها، وذلك في مقابل بقاء دولة الأنباط حرة ، ومستقلة (67).

ولعل ما فعله الحارث الثالث بدفع المال للرومان ، يدل على حكمة وبعد نظر، وكان رغبة أكيدة في بناء علاقات حسنة بالرومان، كما أراد انقاذ بلاده من الوقوع تحت السيطرة الرومانية المباشرة، ومن المحتمل أن يكونوا قد فعلوا ذلك ، للتخلص من أذى الرومان ، خاصة بعد احتلال الرومان جميع المدن السورية، وإن كان الرومان يرون أن ما فعله الأنباط يدل على التبعية ، والانقياد لهم.

و في الفترة التي آل فيها الإشراف على الولايات الشرقية للقائد الروماني أنطونيوس ، كانت بلاد الأنباط تخضع لإشراف ملكة مصر آنذاك كليوباترة، ولكن لم يخضعوا بصورة مباشرة للسلطة الرومانية ، ومما يشير إلى ذلك عدم استئذان الأنباط الرومان في حرب اليهود في عام 9 ق.م، ونجد هنا وذهب بعضهم إلى القول: بأن مملكة الأنباط قد عاشت فترة ازهار ، واستقلال في عهد الملك البطلمي "الحارث الرابع"، عند وفاة الإمبراطور أوغسطس سنة 14م. في حين أن مملكة يهوذا، وولاية سوريا كانتا تدفعا الضرائب التي أرهقت كاهلهما (68)، ولكننا نجد الحارث يلتقي بابن الإمبراطور تيبيريوس بالتبني، وهو جرمانيكوس، عند زيارته لسوريا، وقدم له الملك النبطي فروض الولاء والطاعة (69).

وإذا ما انتقلنا إلى مرحلة مهمة من مراحل العلاقات السياسية بين الرومان والأنباط ، نجد أنفسنا أمام تلك المرحلة السلمية التي شهدتها العلاقات بين الطرفين ، في فترة الحكم الروماني لمصر، في عهد حكم أوغسطس، و وفي زمنه كانت العلاقات الخارجية جيدة ، وقد حاول هذا الإمبراطور ضم جنوب شبه الجزيرة العربية ، المعروفة بالعربية السعيدة، إلى الإمبراطورية الرومانية وذلك في سنة 24 ق.م، طمعاً في ثرواتها الغنية وفي السيطرة على طرقها التجارية، ولم تكن هذه المحاولة الأولى التي تقوم بها القوى السياسية في ذلك الوقت ، للاستيلاء على بلاد العرب ، والسيطرة على ثرواتها، وتأمين طرق التجارة الشرقية ، والاستيلاء على البحر الأحمر (70).

وقد أمر أوغسطس القائد "اليوس جالوس" (Aelius Gallus) (71) بتجهيز حملة عسكرية ، لغزو جنوب شبه الجزيرة العربية، ومن هنا اتضحت ملامح العلاقات الرومانية مع الأنباط، في الفترة التي حكم فيها الملك "عبادة الثاني"، عندما طلب منه الإمبراطور أوغسطس أن يقف إلى جانبه في هذه الحملة ، عن طريق المساهمة في هذه الحملة ببعض الجنود ، وتقديم دليل يرافقهم ، لكي يرشداهم إلى الطرق الموصلة إلى بلاد العرب، وربما يرجع ذلك إلى كون الأنباط يعرفون المسالك المؤدية إلى الطرق الصالحة لسير الجيوش فيها، فكلّف الملك عبادة الثاني وزيره القوي "سيلايوس" (Syllaios) (72)، بمرافقة الحملة العسكرية الرومانية المتوجهة إلى بلاد العرب، وبدأت الحملة في السير حتى وصلت إلى مملكة مدينة مأرب عاصمة سبأ، وحاصرتها، ولكن لم تستطع الصمود، وعادت أدراجها إلى مصر ، وفشلت الحملة الرومانية على جنوب شبه الجزيرة العربية (73).

كان للحملة الرومانية على جنوب شبه الجزيرة العربية عدة نتائج ، وآثار ، ولسنا نهند بصدد الحديث عنها ، ومناقشتها، ولكننا نستطيع أن نقول بأن الرومان قد قاموا بتغيير سياستهم تجاه الأنباط، خاصة بعد اعتقادهم بأن الوزير النبطي الذي رافق الحملة الرومانية، كان سبباً في فشل حملتهم، حيث ذكر سترابو: أن الأنباط قد أصبحوا في أواخر القرن الأول قبل الميلاد، والقرن الأول الميلادي ، من رعايا الإمبراطورية الرومانية ، على الرغم من بلادهم لم تصبح ولاية رومانية من الناحية الرسمية إلا بعد ذلك بقرن وربع تقريباً، ودل على ذلك بأن الإمبراطور الروماني "أوغسطس"، غضب عندما اعتلى الملك النبطي الحارث الثالث، العرش دون أخذ إذنه، بعد وفاة الملك "عبادة الثاني".

- مرحلة الاصطدام وسقوط البتراء

من الملاحظ أن طبيعة العلاقات بين الأنباط واليهود ، أثرت بشكل أو بآخر على العلاقات الرومانية بكلا الطرفين، حيث حاولت روما أن تتبع سياسة التوازن، والتي تبلورت في عدم السماح لقوة من تلك القوى بأن تقوى وتكبر، وتصيح هي المسيطرة، دون أن يكون هناك منافس لها، حتى لا تشكل تلك القوة خطراً كبيراً ، يهدد مصالح الرومان في المنطقة، وكثيراً ما كانت تحدث الحروب بين الأنباط واليهود⁽⁷⁴⁾، وتتدخل روما لحل الأمور لصالحها.

استمرت العلاقات السياسية بين الرومان والأنباط، ولعل حدوث الاضطرابات السياسية على حدود الإمبراطورية الشرقية أجبرتها على تغيير سياستها تجاه المنطقة، ولعل كذلك العلاقات العدائية بين الأنباط واليهود، جعلت الرومان طرفاً ثالثاً فيها ، تارة مع اليهود، وتارة أخرى مع الأنباط، كما حدث عندما حدث صراع بين الأنباط واليهود بعد أن تزوج هيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير ابنة الحارث الرابع ولكنه أراد أن يطلقها ليتزوج هيروديا زوجه أخيه، ولكن قامت الحرب بين الحارث الرابع وانتيباس، فانهزم الأخير، غير أن الرومان أرادوا الانتصار لانتيباس ، بعد أن طلب منهم المساعدة فشرعوا في الزحف إلى البتراء ، ولكن ذلك لم يتم ، بسبب وفاه الإمبراطور تيبيريوس في سنة 37ق.

وشهدت العلاقات النبطية الرومانية بعد وفاة الإمبراطور "أوغسطس"، حالة من الاستقرار ، وكان للسياسة التي اتبعها الملك النبطي "حارثة الرابع" ، دور كبير في ذلك ، وحاول المحافظة على هدوء العلاقات ، حيث اتبع الدبلوماسية في سياسته تجاه أعدائه ، فأخذ يهادن الرومان، ويظهر لهم الولاء، والطاعة ، وإرضائهم والتقرب إليهم بالهدايا، أما اليهود فكان التقرب منهم ، يختلف تماماً، حيث حرص الملك النبطي على تقوية العلاقات مع الملوك الهيروديين ، فدخل في علاقات مصاهرة، كما مر معنا قبل ذلك . ولكن هذه العلاقات السلمية لم تستمر، وتحولت إلى علاقات عدائية، انتهت بحرب بين الطرفين، وكاد الأنباط يدفعون الثمن بحرب الرومان لهم ، لولا تدخل القدر⁽⁷⁵⁾.

وساهمت سياسة الإمبراطور "جايوس قيصر" في تحسين العلاقات مع الأنباط. بعد قيامه بتسليم مدينة دمشق إلى الأنباط. بعد أن استولى عليها الرومان ، واتسمت الفترة التي حكم فيها مالك الثاني ، بالهدوء والاستقرار في العلاقات النبطية الرومانية ، ومن أهم الأحداث السياسية والعسكرية، التي حدثت في عهد الملك النبطي "مالك الثاني"، القيام بمساعدة القائد الروماني تيتوس (Titus)، قبل أن يصبح إمبراطوراً ، أثناء تجهيزه لحملة عسكرية لمهاجمة اليهود في عام 67 ميلادي، عندما زوده الملك النبطي بحوالي ألف من الخيالة وخمسة آلاف من الحارثيين المشاة ومنهم رماة السهام. ولعل ما قام به الأنباط من مساهمة في القضاء على المؤامرة اليهودية ضد الرومان، في الفترة الأخيرة من حكم الإمبراطور "نيرون" ، كان له دور كبير في توطيد دعائم العلاقات الحسنة بين الطرفين ، النبطي والروماني ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى استطاعت المملكة النبطية التخلص من خطر التهديد اليهودي لأراضيها، بانتهاء اليهود ككيان سياسي له وزن في فلسطين⁽⁷⁶⁾.

وجاء بعد مالك الثاني ولده "رب إيل" الثاني والذي حكم في الفترة (70-106م) ، ولعل ما قام به من نقل مقر الحكم من البتراء إلى مدينة بصرى ، لمواجهة لأملاك الإمبراطورية الرومانية في ولاية سورية ، وإهمال الحجر ، يعد خطأ فادح ، كلفه وكلف الأنباط ، الشيء الكثير ، وهذا كان أحد العوامل التي أقلق الرومان من الأنباط. ويبدو أن الظروف السياسية بدأت تتغير بعد وفاته ، حيث استطاعت الإمبراطورية الرومانية من الاستيلاء على جميع الدويلات الصغيرة في

سوريا وفلسطين، وبدأت تعمل على التخلص من كل من يعترض طريقها للقضاء على الدولة البارثية، ومن ثم فقد بدا القادة الرومان يرون ضرورة الاستيلاء على كل المناطق التي كانت تفصل بينهم وبين أعدائهم، واحدة بعد الأخرى. وقد مرت العلاقات النبطية الرومانية بفترة غموض، وعدم وضوح في الفترة الأخيرة لدولة الأنباط، في فترة حكم الملك النبطي "رب ايل الثاني"، وهو آخر الحكام النبطيين، ولا شك أن المنطقة الجنوبية من ولاية سوريا، كانت تشكل خطراً على استقلال الأنباط، لأنها متاخمة لأراضيها، وهي ما يعرف بالمدن العشر⁽⁷⁷⁾، والتي ارتبط مصير كل منهما بالآخر⁽⁷⁸⁾.

ويبدو أن ضم الرومان لمملكة الأنباط قد تم من غير اصطدام عسكري، بين الأنباط والرومان، فتحوّلت مملكة الأنباط إلى ولاية يديرها حاكم روماني، وذلك عندما أمر الإمبراطور (تراجان)(98-117م)⁽⁷⁹⁾، نائبه في سورية "كورنيليوس بالما" في عام 106م بالزحف على البتراء، وهكذا أصبحت تعرف فيما بعد باسم (المقاطعة العربية) وغدت "بصرى" عاصمتها. ولعلنا نستدل هنا بما أشار إليه المؤرخ "كاسيوس ديون فقال: قام بالما باخضاع بلاد العرب في المنطقة المحيطة بالبتراء، وجعلها خاضعة للرومان. و بسقوط البتراء بيد الرومان انتهت دولة الأنباط و أصبحت جزءاً من المقاطعة العربية التي أنشأها الرومان في الطرف الجنوبي من سورية للحماية من هجمات بدو الجزيرة العربية⁽⁸⁰⁾.

احتفل مجلس الشيوخ الروماني بسقوط الأنباط، حيث سكّت عملة مثلت فيها بلاد العرب، وهي واقفة، وتحمل في يمينها غصن زيتون، وتحت قدميها جملة " Arabia Betrea Adquistta"، وتعني: "بلاد العرب الملحقة". وجعل سقوط البتراء على يد الرومان، هو 12 آذار عام 160م، وعرف بتاريخ بصرى، التي غدت مقر لولاية الشرق، ومكاناً لظهور فيليب في القرن الثالث الميلادي⁽⁸¹⁾.

ولعل سياسة التوسع والنشاط العسكري التي اتبعها الإمبراطور (تراجان)، في منطقة الشرق الأدنى، للسيطرة على الطرق التجارية، وتأمينها، كانت أحد الأسباب الرئيسة وراء اتخاذ قرار ضم مملكة الأنباط للولايات الرومانية، حيث تم إنشاء طريق تراجان الذي يمتد من حوران حتى آيلة، وتم حفر قناة تربط نهر النيل بالبحر الأحمر.

رابعاً: التأثيرات السياسية والحضارية :-

لم يتوقف نشاط الأنباط الاقتصادي رغم ضياع نفوذهم السياسي، وظلوا يمارسون التجارة، وقيادته القوافل بين مصر وبلاد العرب، وموانئ البحر الأحمر، وبخاصة تلك التي تواجه السواحل المصرية، كما تدلنا على ذلك كتابات نبطية من سيناء ومن داخل مصر، وأخذ تجار الأنباط يبحثون عن طرق تجارية آمنة، بعيدة عن السيطرة الرومانية، فقاموا بإنشاء مركز تجاري لقوافلهم في مدينة تدمر، وهذا أثر بطبيعة الحال على مدينة البتراء بسبب هجرة السكان لها، والاقامة في المركز التجاري الجديد في تدمر، ولم تعد البتراء سوى مركز لإقامة النساك بها، خاصة بعد أن اتخذت بيزنطة من النصرانية ديناً رسمياً لها، وأصبحت مركزاً للدين المسيحي⁽⁸²⁾، وغدت البتراء خالية مهجورة من السكان، حتى أصابها الخراب والدمار، وبقيت منسية حتى اكتشافها بور كهاردت عام 1812م⁽⁸³⁾.

ومن الملاحظ أن الرومان بدأوا في إنشاء الطرق التجارية لإنعاش النشاط التجاري لهم، وأقاموا سلسلة من الحصون، والقلاع للمراقبة، ولحماية المناطق الهامة وضعوا كتائب رومانية لحراسة الأماكن الاستراتيجية، وتركزت في عدة مواضع، منها: أم الجمال، وبصرى، وغيرها من المدن.

ان ما يراه الانسان اليوم من البناء النبطي الذي أقامه العرب، ليعجب لذلك النموذج المعماري الذي بني بشكل هندسي فريد، أهرم العيون والعقول. شيد العرب الأنباط نماذج مختلفة من الأبنية، تم تمثلت في القصور، والأسواق والصهاريج، وقنوات المياه، والهياكل، والأضرحة الملكية، والبوابات العالية، والقاعات، والمسارح، لم نعرف عن الإنسان النبطي الا أنه احترف العمارة والفن، وتميز فيهما، حتى أصبح تميزه ذلك مدرسة قائمة بذاتها، تختص بالعمارة النبطية وفن النحت. الأمر الذي جعل تلك الحضارة ذات تأثير حضاري عالمي.

وتظهر لنا الخصوصية الحضارية التي قدمها الأنباط في نموذجهم في الادارة السياسية حينما تحولوا من عقلية القبلية الى عقل الدولة، فحافظوا على الخصائص الإيجابية في النظام الاجتماعي التقليدي وطوروها في سياق حركة نموهم الحضاري، فقد كان الملك النبطي نموذجاً راقياً لشيخ القبيلة، فهو كبير القوم وسيدهم، مما وفر خصوصية في المشاركة السياسية من قبل مختلف فئات المجتمع ندر وجودها في المجتمعات القديمة، تشكل نواة أولى للنظام الديمقراطي.

و امتد النفوذ الحضاري للأنباط بفعل سيطرتهم على التجارة على مساحات شاسعة من العالم القديم، حيث أكدت المسوح الأثرية وجوداً نبطياً في اكثر من موقع في مصر وجنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط وشرق الجزيرة العربي جنوبها.

وستبقى القيمة الحضارية (المعمارية) لمدينة البتراء وستظل متفردة بالإبداع التراثي والحضاري في الزمان والمكان.. حتى أصبحت العمارة والنحت النبطي موضع اهتمام لكرليات هندسة العمارة والفنون في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، فظلت القيمة المعمارية والحضارية للبتراء وانتشرت اصداء تلك القيمة في العالم.

الخاتمة:-

بدأ الأنباط حماة للقوافل التجارية، ثم وكلاء محليين للتجارة، ثم وسطاء في التجارة، إلى أن أصبحوا أصحاب تجارة وسيطروا على الطرق التجارية في العالم، حيث كانت قوافلهم المكونة من مئات الجمال تحمل البخور والتوابل والعطور من شواطئ عُمان واليمن ومروراً بمكة والمدينة والحجر ووادي رم إلى البتراء (الرقيم) عاصمة القوافل، ثم تتفرع الطريق بها إلى دمشق شمالاً أو عبر النقب وسيناء غرباً للتجارة مع المصريين.

وبنى الأنباط العديد من محطات ومدن للقوافل توفر الأمن والراحة والمؤن والأسواق على طول الخطوط التجارية ومن أهمها مدائن صالح ووادي رم والبتراء وأم الرصاص وأم الجمال وبصرى وعبد في النقب وخلصه وغيرها.

بالإضافة إلى سيطرتهم على بعض الموانئ الهامة لتجارهم مثل ميناء غزة وميناء العقبة.

ومن الملاحظ أن التفوق التجاري لمملكة الأنباط كان سبباً رئيساً في تعرضها لأطماع القوى السياسية التي كانت تعاصرها، فكان هناك صراعات سياسية واقتصادية متعددة، من أجل السيطرة على التجارة وطرقها، فدخلت في صراع مع اليهود، والبطالمة، والسلوقيين، ومن ثم الرومان، بسبب ذلك.

تأثرت البتراء بحكم موقعها الجغرافي بالعديد من الحضارات، مثل الحضارة المصرية، والحضارة اليونانية، كما كان موقعها الجغرافي سبباً في دخولها في صراعات مستمرة، مع القوى السياسية المعاصرة لها، وقامت تلك القوى بمحاولات عديدة للسيطرة على مملكة الأنباط، ومن أبرز تلك القوى السياسية الرومان الذين حاولوا أكثر من مرة الاستيلاء على البتراء، والسيطرة عليها، والقضاء على استقلالها، لكن الملوك الأنباط لم يمكنهم من تحقيق هدفهم، حيف فضل الأنباط شراء استقلال بلادهم بالمال، الذي كان يدفع للرومان، مقابل احتفاظهم ببلادهم، وظهر ذلك واضحاً من خلال الصورة التي ظهر فيها الملك النبطي الحارث الثالث ممسكاً جملاً بيده، وجائياً على إحدى ركبتيه، وماداً سعف النخل، وهذا يظهر قوة النفوذ السياسي الروماني، حتى تمكن الرومان من دخول البتراء، وتحويلها إلى ولاية رومانية، واطلقوا عليها المقاطعة العربية، في عام (106م) على يد الإمبراطور تراجان، وبذلك زوال حكم الأنباط.

دام الاحتلال الروماني في بعض المواقع حوالي أربعة قرون، وكانت جرش إحدى أهم مدن المقاطعات الرومانية وقد زارها الإمبراطور هادريان، وبعد انتهاء حكم الأنباط قام الرومان بإعادة إنشاء ما سمي بطريق تراجان الجديد، وتم بناء الحصون وأبراج المراقبة على طول الطريق، بينما جرى بناء الشوارع والأعمدة والمسارح في عمان وجرش وأم قيس، ولقد فرض الرومان اللغة اللاتينية على يد السكان المحليين.

ومن الملاحظ أن السيطرة الرومانية لم تشمل كل المناطق التابعة للأنباط، حيث احتفظت منطقة الحجر والأماكن النبطية القريبة منها بسيادتها، واقتصرت السيطرة الرومانية على العاصمة النبطية البتراء، وبصرى وبعض الأماكن في المنطقة الشمالية والتي كانت مراكز تابعة للأنباط.

الإحالات والمصادر والمراجع

(1) أقام عرب الأنباط دولتهم في بادية الشام، واتسعت حتى وصلت بنفوذها إلى شمال الحجاز، وقد اتخذت من البتراء حاضرة لها، ظهرت بشكل واضح كقوة لا يستهان بها حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، Kennedy, A.D.W., Petra, its History and The monuments, (London, 1925) p.3. أما كلمة (نبط) فقد اختلف العلماء في تعليلها، فمنهم من ردها إلى (نبيط) و(نبايوت)، وهو الابن البكر لاسماعيل بن إبراهيم الخليل من زوجته هاجر أو لكثرة النبط عندهم وهو الماء.

(2) هو ابن بطليموس الأول من زوجته الثالثة، تولى العرش بعد وفاة والده، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، كان ميالاً إلى الترف، وحب اللهو، شجع الثقافة والعلم، عرف بلقب فيلادلفوس، ويعد عهده من أزهى عهود مصر البطلمية، واكتملت في عهده معظم النظم الإدارية، وأصبحت مدينة الاسكندرية في عهده من أهم مدن العالم في ذلك الوقت، اصطدم بالدولة السلوقية، وقادها ضدها حربين، عرفنا بالحرب السورية الأولى، والثانية. Walter M.Ellis,; Ptolemy of Egypt. London. New York. p.

(3) أنظري، إبراهيم، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج2، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1976م)، ص 124، يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ت)، ص 423. يوسف، "فرج الله"، طرق التجارة في الجزيرة العربية قبل الاسلام، الفصيل، الرياض، (2003م)، ص 81.

(4) العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج1، ط6، (بغداد، مكتبة المثنى، 1954)، ص 40.

- (5) أنظر في ذلك : مهرا، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، (القاهرة، دار المعرفة، 1989م)، ص 494-496.
- (6) العبد الجبار، عبدالله عبدالرحمن، "تجارة الأنباط البحرية بين القرنين الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م 5، ع 3، (2011م)، ص 1.
- (7) علي، حواد، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 3، (بيروت، دار العلم للملايين، 1968م)، ص 11.
- (8) تعرف البتراء في المصادر العربية باسم الرقيم. الحموي، ياقوت (ت 626هـ)، معجم البلدان، ج 2، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1979م)، ص 60. البتراء أو البترا مدينة أثرية وتاريخية تقع في محافظة معان في جنوب المملكة الأردنية الهاشمية. تشتهر بعمارها المنحوتة بالصخور ونظام قنوات جر المياه القديمة. أطلق عليها قديماً اسم "سلع"، كما سُميت بـ "المدينة الوردية" نسبةً لألوان صخورها المتنوعة.
- (9) نصحي، تاريخ مصر، ص 45. العبادي، مصطفى، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985م)، ص 28-44.
- (10) كانت هناك محاولتين من قبل اليونان على بلاد الأنباط، الأولى كانت في عهد انتيجونوس (Antigonos)، بقيادة أحد ضباطه، وصديقه المدعو اثينوس (Athanaeus)، وكانت الحملة مزودة بحوالي ستة آلاف من الخيالة وحوالي أربعة آلاف من المشاة، وقد هاجمت الحملة مدينة البتراء عاصمة الأنباط ليلاً، مستغلين عامل المفاجأة وكذلك خلو البتراء من الرجال (حيث يعتقد أن الأنباط كانوا متوجهين لاستقبال إحدى القوافل التجارية)، وقام رجال الحملة العسكرية بنهب الفضة والأموال والمزج والبخور، وعندما علم الأنباط بذلك استطاعوا اللحاق بالحملة العسكرية اليونانية، التي كانت مخيمة في مناطق بعيدة عن البتراء، وانتصر الأنباط، وبذلك فشلت الحملة اليونانية، أما الحملة الثانية فقد كانت بقيادة ديمتريوس (Demetrius)، وكان قوامها أربعة آلاف من المشاة، ومثلهم من الخيالة، ولما عرف الأنباط بقدوم هذا الجيش سارعوا إلى إرسال مواشيهم إلى الصحراء واستحكموا داخل مدينة البتراء، وعندما وصل ديمتريوس أمام الصخرة الشاهقة، لم يستطع أن يهاجم الأنباط المتمرسين داخل هذا الجبل الشاهق، وعندما حاول اليونان القتال، واجهوا مجموعة من الصعاب فانسحبوا، وبالتالي فشلت هذه الحملة. صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1988م)، ص 146.
- (11) الطوسي، سعد، ومحمد النصرات، "الظروف التاريخية والأدلة الأثرية لفترة دخول الأنباط إلى جنوبي الأردن ٥٣٩ ق.م - 106م"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م ٤، العدد 2، (٢٠١٠م)، ص 109.
- (12) Diodorus Siculus (1956 edition). **The Library of History**, vol. 10, Books XIX.66-110 and XX. With an English Translation by M. Gee. London: Heineman. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press., 19, 89.
- (13) Diodorus, **The Library of History**. 94.4-5.
- (14) Diodorus, **The Library of History**. 94.2-5.
- (15) Graf, D., The Origins of the Nabataeans, *ARAM* 2, 1990.Pp.53-54.
- (16) Starbo, Geography, XVI, 4, 26. Tarrier, D., Les triclina nabatéens dans la perspective des installations de banquet du Proche-Orient, Thèse de Doctorat, Paris I-Panthéon- Sorbonne, 1988.Pp.168-169
- (17) عاش ديودور ما بين (80-21 ق.م)، أما استرابو فعاش في الفترة (54 ق.م - 25م).
- (18) هذه الحروب انتهت بانتصار السلوقيين، وتم طرد البطالمة من سوريا، وآسيا الصغرى في عام (198-197 ق.م). نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج 3، ص 51.
- (19) نافع، محمد مبروك، تاريخ العرب لعصر ما قبل الإسلام، (القاهرة، د. ن، 1952م)

- (20) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص 149.
- (21) علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 542.
- (22) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، (القاهرة، دار المعرفة، 1989م)، ص 507.
- (23) علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 26.
- (24) حتي، فيليب، تاريخ العرب، ج 1، (بيروت، دن، 1958م)، ص 419.
- (25) علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 30-33.
- (26) لمعرفة تفاصيل هذه المعركة أنظر: نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالة، ج 1، ص 366-369.
- (27) علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 35-36. حتي، تاريخ العرب، ص 311-312.
- (28) Starbo, Geography, p.4, 23-24.
- (29) عطوي، فرحة هادي، "العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الأنباط والبطالة"، مجلة الفتح، ع 30، (2007م)، ص 132.
- (30) عبد العليم، مصطفى، "جارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، في الكتاب الثاني من الجزيرة العربية قبل الاسلام، (الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، 1984م)، ص 102.
- (31) فخري، أحمد، اتجاهات حديثة في دراسة الأنباط، (عمان، دائرة الآثار العامة، 1972م)، ص 6. علي، الفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 39.
- (32) Pliny, Natural History, 6, London, 1954. . P.19-20
- (33) حرص البطالة على إقامة تحالف تجاري مع مدينة (معان)، وهي مدينة ديدان، والتي تقع إلى جنوب الأنباط، والتي أصبحت تنظر للأنباط كمنافس تجاري قوي، كما حاولوا التوجه إلى اللحيانيين، الذين ظهروا شمال الحجاز، وجنوب بلاد الأنباط. عطوي، "العلاقات الاقتصادية والسياسية"، ص 133.
- (34) Starbo, Geography, p.4,24
- (35) لمزيد من المعلومات حول الطرق التجارية في مملكة الأنباط أنظر: الضالعين، مروان عاطف، الطرق التجارية في مملكة الأنباط
- (36) الضالعين، الطرق التجارية في مملكة الأنباط، ص 157-162.
- (37) أنظر: العبد الجبار، "تجارة الأنباط البحرية"، ص 3.
- (38) Zeyad al-Salameen, The Nabataean Economy in the light of Archaeological Evidence, PhD Dissertation University of Manchester 2004, p. 56.
- (39) عبد العليم، مصطفى كمال، "تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية خلال العصرين اليوناني والروماني"، في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ط 1، ج 1، (جامعة الملك سعود، 1984م)، ص 20.
- (40) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص 423. الضالعين، الطرق التجارية في مملكة الأنباط، ص 162-164.
- (41) تأتي أهمية ميناء غزة من كونه مركزاً تجارياً هاماً على طريق القوافل التجارية التي تأتي من جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم تقوم القوافل بنقل البضائع من ميناء غزة إلى الأسواق العربية، وغيرها. موسل، شمال الحجاز، ترجمة: عبد المحسن الحسيني، (الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1988م)، ص 116-118.
- (42) يتميز هذا الميناء بأنه معبر أساسي لدخول شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى كبر مساحته، وأشار إليه استرابو عندما تحدث عن الحملة الرومانية على بلاد العرب. ويعد مركزاً تجارياً هاماً، وهناك طريق تتفرع منه إلى البتراء، عاصمة الأنباط.
- (43) يقع هذا الميناء على ساحل البحر الأحمر، ويعد مركزاً تجارياً جيداً لخلوه من الجزر المرجانية، وتتفرع منه عدة طرق تجارية هامة.
- أنظر: عباس، احسان، تاريخ دولة الأنباط، ط 1، (عمان - الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1987م)، ص 33.
- (44) اختلف الباحثون في تحديد موقع الميناء، ولكن التنقيب الأثري أثبت وقوع ميناء أكر كومي في مرسى المريسي بالقرب من مصب وادي الحمض على بعد حوالي 40 كيلومتراً جنوب ميناء الوجه، وموقعه هذا يجعله قريباً من مدينة الحجر، غثر به على عدد من الآثار النبطية التي

يعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد. الغبان، علي إبراهيم، معطيات أثرية جديدة حول تحقيق موقع مينائي أكراكومي ولوكي كومي ومستوطنة أمبلوني في

ساحل البحر الأحمر بالمملكة العربية السعودية، " الندوة العالمية لعلاقات الجزيرة العربية بالعالمين اليوناني والبيزنطي،

٢٠١٠ م. ٩/١٢ - الرياض ٦- 2010/12/9 م.

(45) العبد الجبار، عبدالله عبدالرحمن، " تجارة الأنباط البحرية ، ص 13.

(46) هاردنج، لا نكستر، آثار الأردن، تعريب: سليمان موسى، ط 1 (الأردن، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر،

1965م)، ص 40.

(47) كانت البتراء من أهم المخططات التجارية للقوافل، التي كانت تأتي إليها، فيستريح بها أهل الجمال، ويقيمون بها عدة أيام، ويسدون حاجتهم من المؤن لهم ولحيواناتهم، والجمال، و وساعدها وقوعها بين محطات هامة على جعلها مركزاً هاماً لتوزيع البضائع، وإعادة تصديرها لأنحاء مختلفة من العالم، لكونها تقع بين وادي الرافدين، والخليج العربي، والبحر الأحمر، واليمن، ومن هنا استفاد سكان البتراء من التجارة، و خدمة القوافل التجارية، التي تمر بالبتراء. Kammerer, A. (1929), Pétra et la Nabatene. Librairie Orientaliste Paul Geuthner Paris.p.33 .

(48) Klaas Dijkstra, Life and Loyalty: A Study in the Socio-Religious Culture of Syria and Mesopotamia in the Graeco-Roman Period Based on Epigraphical Evidence, (Brill 1995), p. 298

(49) Herodotus (1959), *The Histories*. Translated by de Selincourt, A. Penguin Books Ltd., Middlesex.p.75.

(50) Strabo, The Geography, p.19.

(51) al-Ansary, A. (1982), *Qaryat al-Faw: A Portrait of Pre-Islamic Civilization in Saudi Arabia*. Riyadh University, Riyadh.p.22-29.

(52) Diodorus, C., *Diodorus Historiae, The Library of History*, London,LCL, 1961. 12 Vols p. 95.

(53) تولى بطليموس الرابع العرش وهو في الثانية والعشرين، حمل لقب فيلوباتور، حكم في الفترة من 221-205 ق.م، يعد عهده بداية لمرحلة الضعف والتدهور للدولة البطلمية، كان ذا شخصية ضعيفة، سيطر عليه بعض رجال القصر البطلمي، في عهده حدثت معركة رفح ، عام 217 ق.م، وهي من سلسلة الحروب السورية، بين البطالمة والسلوقيين. للمزيد حول بطليموس الرابع أنظر: فرح، أبو اليسر، تاريخ الشرق ادنى في العصرين الهلنستسي والروماني، (د.م، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، د.ت)، ص 61-65.

(54) تعرف بالحرب السورية الرابعة ، وتتعد نقطة تحول خطيرة في تاريخ البطالمة، فبعد هذه المعركة ساءت أحوال البرد الداخلية، وفقدت الدولة البطلمية هيبتها، وسيطرتها على جميع أملاكها في الخارج، وقد أظهر الجنود المصريين في هذه المعركة مهارة قتالية عالية، وأثبتوا مقدورهم على القتال، فقاموا بعدة ثورات بعد معركة رفح ، يطالبون فيها بحقوقهم السياسية والاجتماعية.

(55) اعتلى أنطيوخس الثالث العرش في سنة 223 ق.م وكان يبلغ من العمر عشرون عاماً، عرف بالأكبر، كما أطلق على عصره عصر الصحوة، تميز بقوة الشخصية، وبالهيبة، في عهده بدأ أول صدام عسكري للدولة السلوقية مع روما،

(56) البارثيون أو الفرثيون Parthians من الشعوب الإيرانية)، استقروا في منطقة بارثية Parthia في الجزء الشرقي من إيران، وتمكنوا من التخلص من السيطرة السلوقية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وازدهرت عقب انهاء السيطرة السلوقية في أواسط اسيا، منذ القرن الثاني قبل الميلاد، قاموا بحملات نحو الغرب ، وتمكنوا من احتلال مقاطعة ميديا، وأجزاء من بلاد الرافدين، واحتلوها عام 141 ق.م مدينة سلوقية دجلة، بزعامة قائد هيميترا داتس الأول (171-138 ق.م). كان الرومان من ألد أعرائهم، وجرت بينهم عدة معارك حربية، تخللتها معاهدات سلام. للمزيد من المعلومات أنظر: الناصري، سيد، مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستسي، (القاهرة، دن، 1992م)، ص 264. Assar, G.R.F., "Genealogy & Coinage of the Early Parthian Rulers. I", Parthica, 6, 2004

(57) سالم ، سيد، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج1، (الاسكندرية، دن، 1997م)، ص 160.

(58) يعد خامس حكام البطالمة، اعتلى العرش وهو ما يزال طفلاً في السابعة من عمره، لذلك تولى الوصاية عليه سوسيبوس وهو أحد رجال البلاط الملكي البطلمي، في نهاية عهده قامت ثورة في مدينة طيبة.

(59) من صور ذلك : وقوف الأنباط إلى جانب الرومان ، عندما حدثت حرب الاسكندرية سنة 48 ق.م، بين القائد الروماني يوليوس قيصر " وأهالي مدين الإسكندرية ، كما قاموا بإحراق الأسطول البطلمي عام 30 ق.م، وعندما قام الرومان بمحلتهم الشهيرة على جنوب شبه الجزيرة العربية، وقف الأنباط معهم ، في عهد الملك النبطي عبادة الثالث"، الذي جعل وزيره صالح دليلاً لهم عبر الصحراء. للمزيد أنظر: حتي، تاريخ العرب، ص 60.

(60) يوسف، طرق التجارة، ص 81.

(61) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص 8-9

(62) ينتمي يوليوس قيصر إلى اسرة رومانية ذات شرف، يرجع نسبها إلى الالهة فينوس، كان يميل إلى العامة منذ شبابه، تميز بالطموح، والقوة، وتولى مناصب سياسة كبيرة، وتمتع بسلطات سياسية وعسكرية وكان على عدااء مع مجلس السناتو. فقامت بينه وبين السناتو وبومي حرب أهلية، استطاع خلالها أن يتغلب هو وأنصاره على خصومه. للمزيد أنظر: نصحي، تاريخ مصر، ص 690-716.

(63) هو حفيد أخت يوليوس قيصر، الذي ورثه وخلفه، كان يبلغ الثامنة عشر عندما توفي يوليوس قيصر ، تلقى تدريباته العسكرية، ونهل من العلم في بلاد اليونان، قدم إلى روما بعد مصرع يوليوس قيصر، وأخذ يطالب بحقوقه السياسية في الحكم. أنظر : العبادي، مصطفى، الامبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، (بيروت، دن، 1981م)، ص 71-72، الروبي، آمال، مصر في عصر الرومان، دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية في ضوء الوثائق التاريخية 30-284م، (القاهرة، دن، 1984م)، ص 35-36.

(64) يعد من أمهر القادة الرومان ، والذي سطع نجمه كقائد في جيش سولا، وقام بدور كبير في القضاء على الاضطرابات التي قامت في أفريقيا، وجزيرة صقلية، منحه مجلس السناتو سلطة البروقنصلية، ومنحه سولا لقي الأكبر، حكم أسبانيا مدة خمس سنوات، تميز بالبراعة العسكرية ، والكفاءة السياسية. للمزيد حول بومي أنظر: نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى عام 44 ق.م، ج2، القاهرة، دن، د.ت)، ص 322-334، 395-396.

(65) كانت الأوضاع في سوريا قد مهدت لدخول بومي سوريا، بسبب كثرة الصراعات فيها، وكان آخر حكام الدولة السلوقية هو أنطيوخس الثالث عشر، الذي عرف بالضعف، وقد حاول أن يتمسك بالعرش، لكن بومي وروما قرروا أن يحكموا سيطرتهم على سوريا، لضعف الدولة السلوقية، فقرروا تحويلها إلى ولاية رومانية عام 64 ق.م، وانتهت بذلك الدولة السلوقية ، منذ أن أعلن بومي سوريا ولاية رومانية، وقد عمل بومي جاهداً على تنظيم أوضاع سوريا ، من خلال التنظيمات التي وضعها. لمزيد من التفاصيل أنظر: نصحي، تاريخ الرومان، ص 288-

289. Car, M., A History of Rome, London, 1988. P.256.

(66) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص 44-45.

(67) Murray, M.A., Petra, The Rock City of Edom , (London, 1936). P. 103.

(68) Tacitus, The History. tr. Clifford H. L.C.L. 1968. Ann.II 42.7.

(69) Tacitus. Ann.II 42.57.

(70) لقد سبق وأن بذل البطالمة جهوداً كبيرة لمحاولة السيطرة على الطرق التجارية الشرقية، في بلاد العرب، في عهد الحاكم البطلمي " بطلميوس الثاني"، الذي أنشأ موانئ بطلمية على هذا البحر.

(71) كان ثاني الولاة الرومان على مصر، وحكمها بين عامي 26-24 ق.م، ومن أهم الأحداث في عهده هي الحملة الرومانية المشهورة على بلاد العرب. يحيى، تاريخ العرب، ص 424-429.

(72) الوزير النبطي صالح أشهر وزراء مملكة الأنباط وأكثرهم دهاءً ، لا يُعرف عنه كثير من المعلومات سوى ما جاء في المصادر التاريخية من معلومات، توضح علاقته الجيدة بالرومان، سطع نجمه في المصادر الرومانية، ولقب بلقب (أخي الملك)، أي العضد الأيمن، أو اليد اليمنى للملك النبطي، أعدم في روما عام 6ق.م. للمزيد أنظر: السلامين، "زياد، العلاقات النبطية الخارجية: دراسة في ضوء المصادر التاريخية وال شواهد الأثرية"، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، سلسلة الأعمال العلمية المحكمة في التاريخ والحضارة. 1434 ، ص: 57 - 8. و العبادي، صبري، 1997 "نقش صفوي جديد يؤرخ إلى الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد"، أبحاث اليرموك، العدد (3)، المجلد (13)، ص 141 - 151

(73) Starbo, Geography, p.4, 23-24.

(74) من أمثلة ذلك تنازع اليهود والأنباط على المناطق الحدودية بينهما ، وذكر لنا المؤرخ يوسفوس حدوث نزاع عسكري بين ملوك الأنباط ، والملك اليهودي المكابي نايوس. (75) لا نكستر، هاردنج، آثار الأردن، تعريب: سليمان موسى، (عمان، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، 1956م)، ص 124.

(76) أنظر: حتي، تاريخ العرب ، ج1، ص 423.

(77) يقع أغلبها في شرقي الأردن، بين عمان وجرش ، وأم قيس ، وطبقة فحل، وبيت رأس وفيق، وقنوات، سوى بيسان تقع في الضفة الغربية من النهر ، كانت تسعى لمهاجمة كل من يعتدي على المصالح الرومانية، واثارة القلاقل، قال عنها المؤرخ "سميث" "إن هذه المدن قد شكلت خط دفاع كبير ضد العناصر العربية، واليهودية، التي كانت تود زحزحة النير الروماني عن رقابها....".

(78) Millar, Fergus, The Roman Near East. 31 B.C. – A.D. 337. 2d. ed. Harvard. 1994.p.92.

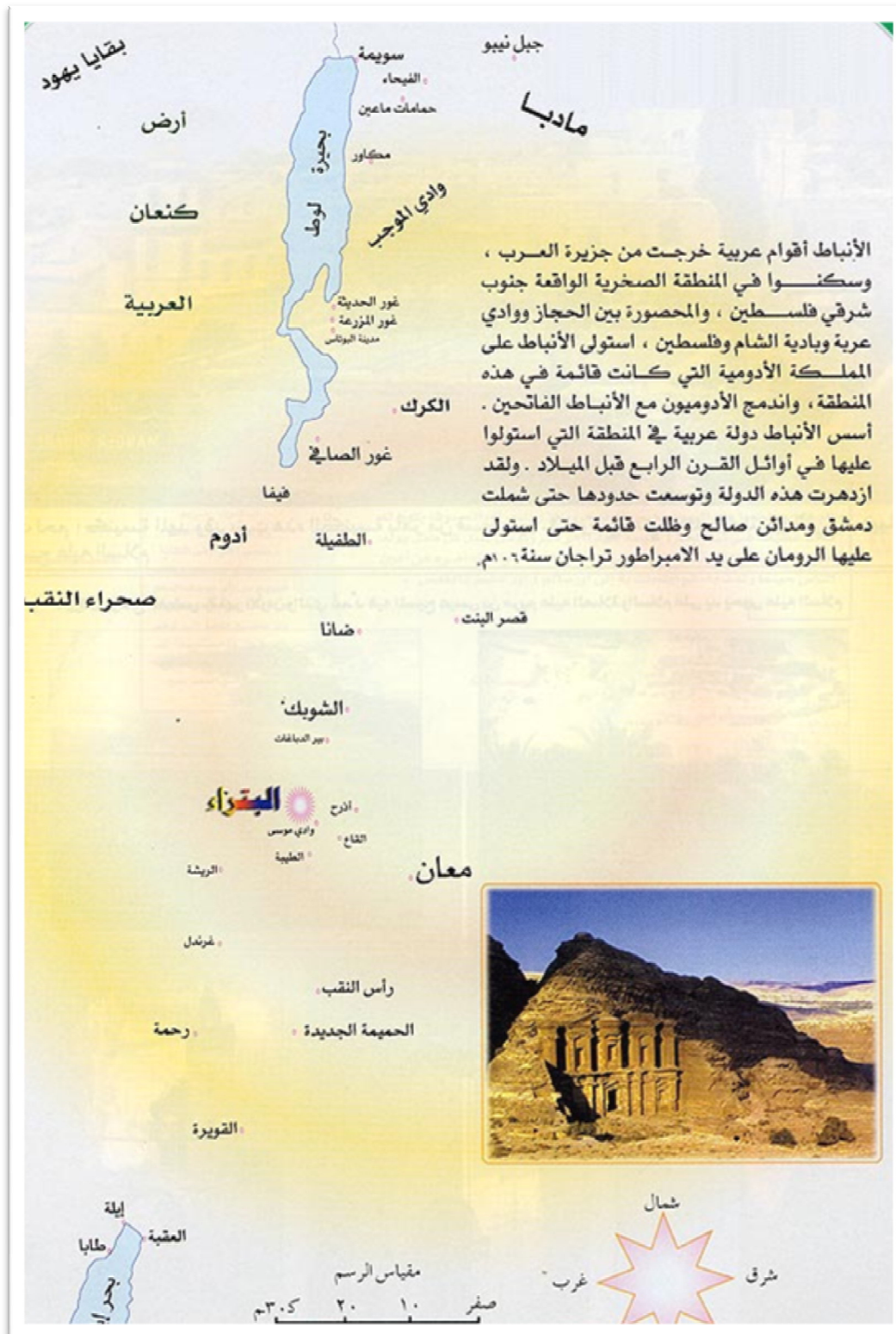
(79) الإمبراطور تراجان هو: ماركوس أليبيوس نيرفا ترايتوس أغسطس ، ثاني الأباطرة الأنطونيين الرومان ، و الإمبراطور الروماني الثالث عشر، وبلغت بالإمبراطورية الرومانية أوج اتساعها في عهده، ولد في مدينة يتاليكا ، ارتقى في صفوف الجيش الروماني كان والد تراجان حاكم سوريا (76-77) ، وتم تعيينه القنصل ، شارك تراجان الإمبراطور دوميتيان في الحروب ' وخلف دوميتيان نيرفا، الذي كان غير مرغوب فيه من الجيش، عندما توفي نيرفا خليفة دوميتيانوس تولى الحكم الإمبراطور تراجان يوم 27 كانون الثاني / يناير و 98، باحترام كبير دون حوادث.

(80) صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ص 149.

(81) صليبا، منصور، الطرق والقلاع، من آثار الرومان في بلادنا ، ص 88.

(82) Gibbon, E., The Decline and fall of the Roman Empire, London, 1950. P. 214.

(83) ملحق، لطفي، "البتراء"، الدفاع (القوات المسلحة السعودية)، السعودية، مج 23، ع 56، (1984م): ص. 97 - 98.





الطرق التجارية النبطية القديمة.



خريطة الإمبراطورية الرومانية تحت حكم [الإمبراطور](#) هادريان (حكمت من 117-138)، تظهر موقع العرب الأنباط في المناطق الصحراوية حول مقاطعة [البتراء](#) الرومانية



مبنى المحكمة أو قبر الجرة بالبتراء



اتساع رقعة المملكة النبطية



صورة جوية لوسط مدينة البتراء الصورة التقطت عام 1980

